

كلمة قيلت لطائفة من طوائفهم فهي الكلمة التي ينبغي أن تقال في الوقت الذي ينبغي أن تفعل فيه فعلها ، وهذه هي دعوة الاضعاف والتزويق كأمضى ما تكون .
قائد بغير نظير :

عندما تنعقد المقارنة بين المعارك القديمة والمعارك العصرية ينبغي أن ننظر إلى فكرة القائد قبل أن ننظر إلى ظواهر المعارك أو إلى أشكالها وأحجامها ، لأننا إذا نظرنا إلى الظواهر فلا معنى إذن للمقارنة على الاطلاق . إذ من المقطوع به أن عشرة ملايين يجتمعون في ميدان واحد أضخم من عشرة آلاف ، وأن حربا تدار بالمذيع والتليفون أعجب من حرب تدار بالقم والإشارة ، وأن نقل الجنود بالطائرات والدبابات أبرع من نقلهم على ظهور الخيل والإبل ، وأن المدفع أمضى من السيف ، والرصاصه أمضى من السهم . فلا معنى إذن لمقارنة بالظواهر تنتهى إلى نتيجة واحدة . . هي استضخام الحرب الحديثة والنظر إلى القيادة الغابرة كأنها شيء صغير إلى جانب القيادة التي توجه هذه الضخامة .

لكننا إذا نظرنا إلى فكرة القائد ، أمكننا أن نعرف كيف أن توجيه ألف رجل قد تدل على براعة في القيادة لا نراها في توجيه مليون . . بينهم الراجل والراكب ، ومنهم من يركبون كل ما يركب من مخلوقات حية وآلات مخترعة . .

* * *

وهذه الفكرة هي التي ترينا محمدا عليه السلام قائدا حربيا بين أهل زمانه بغير نظير في رأيه وفي الإقناع بمشورة صحبه ، وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة في توجيه كل ما يتوجه على يدي قائد من قوى الرأى والسلاح والكلام .
وهذه القدرة هي شهادة كبرى للرسول تأتى من طريق الشهادة للقائد الخبير بفنون القتال . .

فن كانت عنده هذه الأداة النافذة فاقصر بها على الدفاع واكتفى منها بالضرورى الذى لا يحصى عنه ، فذلك هو الرسول الذى تغلب فيه الرسالة على القيادة العسكرية ، ولا يلجأ إلى هذه القيادة إلا حين توجيه رسالة الهداية . .